محمود أحمد إبراهيم

مقطوعتي - صغيرتي

# مقطوعتي

خرجت من سيارتي مسرعا قليلا حاملا في يدي آلة الكمان، فكنت على قائمة فريق مسرح أطفال الغد، وسنقوم بمسرحية اليوم، في مكتبة الإسكندرية توجهت في ردهة المكتبة، بعدما عبرت باب التفتيش مسرعا نحو القاعة الكبرى، تحديدا خلف الكواليس فباقي على رفع الستار خمس دقائق.

- انت اتأخرت ليه يا بهجت.

- معلش يا يوسف أصل العربية عملتها معايا وانت عارف الطريق.

- بسرعة يلا جهز نفسك.

- تمام.

بدأ الحفل، وبدأت الفرقة بالعزف، والجميع ينصت بانبهار.

لقد لاقت المسرحية تصفيقا حارا من الجمهور، انصرفت خارجا وفجأة توقفت.

ظهرت علا أمامي تبتسم، كان الجمهور يلتقطون الصور معها، رفعت يدي بالكمان فظهرت علامات الفرح عليها واتجهت نحوي مسرعة.

استجمعت شجعاتي في محاولة لإيجاد ما أقوله.

- كان يوم طويل يا علا.

- اشمعنى يعني، ما كل أيامنا في الحفلات بتبقى طويلة جت على النهاردة.

- والله عندك حق، كله محصل بعضه.

اقترب يوسف منهم وفي يده آلاء خطيبته والصديقة المقربة لعلا.

- ازيكوا يا جماعة، أنا النهاردة عازمكوا على سهرة.

---

لترد علا: لا معلش، أنا مروحة، والوقت اتأخر.
تضجرت آلاء من موقفها فقالت:
- احنا هنسهر يلا علا، مش هننام في الشارع، خليكي معانا.
- معلش يا آلاء انتي عارفة التمثيل متعب أوي.
- طيب خلاص بهجت يوصلك.
قالها يوسف.
- موافقة.
قالتها مبتسمة.
- دي شكلها واقعة يا عم.
قالها يوسف ممازحا بهجت.

****

خيم الصمت علينا لحظات قليلة، كانت علا قد غلبها النوم، مالت برأسها على كتفي دون أن تشعر، يبدو أنها كانت مرهقة، ترددت هل أوقظها، أم أتركها تنعم بقليل من النوم.
استقرت السيارة أمام منزل علا، تطلعت إليها قليلا ثم حدثتها بلطف.
- علا اصحي احنا وصلنا.
- معلش، نمت شوية.
- لا ولا يهمك، هاشوفك تاني الحفلة يوم الخميس.
- اه أكيد هكلم آلاء ونروح سوا.

****

عند حلول المساء، ارتدت علا فستانا أسود أنيقا، غطى كل جسدها، إلا أنه

لم يخف جمالها ورقة قوامها، غادرت منزلها واتجهت إلى القاعة.
لم تدخل مباشرة ولكنها انتظرت آلاء، خرجت آلاء من السيارة المستأجرة بحلتها الأنيقة وشعرها المصفف.
دخلوا إلى القاعة بهدوء، وسط تصفيق حار للجمهور والمكان ممتلئ عن آخره، جلسا في المقاعد المخصصة لهم.
كنت أعزف مقطوعة بتهوفين على الكمان، توقفت عيناي وأنا أنظر إلى علا، ظللت أتأملها بحب شديد، وهي لاحقتني بنظراتها الدافئة.
أنهت الأوركسترا عزفها، وسط دهشة الحضور.
تركت مقعدي وذهبت إلى يوسف عازف التشيلو وقلت: أنا ملاحظ إن علا بتبقي فرحانة لما ببقي موجود، أنا هاقولها.
- طب ومريم!!
- مريم كانت إعجاب قديم، انت عارف أنا محبتش غير علا.
تتسلل علا وسط الحضور تقف أسفل حافة المنصة.
- بهجت بهجت. .
- أيوة يا علا.
- يلا بينا، آلاء واقفة مستنية بره.
- طيب احنا جايين وراكي.

****

انتظرت آلاء وعلا بالخارج، كان الجو باردا قليلا.
- هو بهجت بيحبني يا آلاء.
- مش عارفة، بس تصرفاته والنهاردة بالذات كان في حاجة عايز يقولها، عارفة لما ابتدى يعزف في الحفلة كنت حاسة إنه بيعزف بمشاعره.

مش هتصدقي لو قولتلك إني مكنتش بسمع غيره بس النهاردة.
رأيت الفتاتين تتحدثان، فقلت:أنا لازم أقولها النهاردة إني بحبها.
- ده أحسن وقت على فكرة.
قالها يوسف مبتسما.
- علا علا
- احنا هنا يا بهجت.
- عايز أوريكي حاجة دلوقتي.
- خير؟!
قالتها باستغراب.
تطلعت بعيني على المكان فوجدت سيارة كانت الأتربة تغزوها فقررت أن انهي تلك الحرب بسلام يدوم لسنوات فوقها.
- انت جايبني هنا ليه؟؟
- استني بس.
استدرت خلف السيارة وبدأت في كتابة شيء على الزجاج، تحركت أصابعي لتكتب لها على الزجاج -أحبك-.
تطلعت لها وأنا أتأمل وجهها للحظات.
- شوفي أنا كتبتلك إيه.
ظلت علا تتأمل كلمته على الزجاج وتتأمل عينيها تفيضان بالدمع، تغلبت عليها مشاعر حب عاصف.

**********

# صغيرتي

عندما مازحني بهجت قليلا وأراد أن نذهب سويا إلى بائع الورد، فاليوم سيعقد خطبته على علا تلك الفتاة التي لم ينقطع عن التحدث عنها.
أنتم لا تعرفون ماذا حدث بعد لقائهما العام الماضي، سأذكر لكم بعض الأحداث، قبل شهور قليلة أنهت علا دراستها الجامعية وحصلت على دور البطولة في المسرحية التي تقيمها الجامعة نهاية كل عام، وأنا وبهجت كنا في الحفل ليس مدعوين إنما من أعضاء الفرقة الموسيقية، يقولون إننا فريق رائع سويا.
بهجت في نهاية الحفل تحدث مع علا أنه قد أخبر والديه وفي نهاية الأسبوع سيذهب إلى بيتهم، هو يختار الأكثر سعادة عند علا ليخبرها بما يشاء وعلي يقين بأتها ستزداد سعادة، اليوم هو يشعر بالسعادة تغمره بشدة فإنه سيحقق حلمه أخيرا.
بعد انتهائي من مراسم الزواج، قضيت مع علا أسعد الأوقات ولكن سرعان ما تبدل الحال في الأيام القادمة، قرابة الفجر، اشتكت زوجتي من ألم شديد، منذ شهرين تقريبًا أصيبت بالحمى وانتقلت إلى المستشفى الميداني لأن حرارتها وصلت لأربعين درجة وبعد الفحوصات الطبية اللازمة لذلك فاجأني الطبيب، أنها تحتاج إلى نقل دم لأن مستوى الهيموجلوبين ٦ والطبيعي من ١٢ إلى ١٥ تقريبًا، فكيف ذلك.
ذهبت مع الممرضة لسحب العينة وعند سؤالي لها.
- لو سمحتي، هي الفحوصات فيها إيه؟؟

- حضرتك النتيجة مش مرضية الدكتور عنده شك كبير، بس ربنا يشفيها.
- شك في إيه بالضبط؟
- المدام عندها سرطان.
صرخت في وجها كيف ذلك، أنا هنا عشان دور برد بسيط، سرطان إيه وكلام فاضي إيه، لم أنتبه إلا على الإبرة تخترق ذراعي وبدأت عملية نقل الدم.
فور انتهائي ذهبت للطبيب مرة أخرى.
- ممكن أعرف الحالة مالها.
- يا فندم زوجتك عندها سرطان الغدد الليمفاوية، والسرطان انتشر بشكل لا يمكن التحكم فيه، ازاي حضرتك متعرفش وزنها ناقص جدا.
- أنا عارف إن وزنها ناقص، هي مفهماني إن ده ريجيم سريع.
- لا التحاليل والأشعة غير كده، احنا بكرة هنبدأ العلاج الكيماوي ادعولها كتير.
في الصباح خضعت زوجتي لفحص الرنين المغناطيسي الذي أظهر أن المرض انتشر في الطحال والكبد، وعمل على انسداد جزء كبير من الأمعاء، كان شرح الطبيب عن الحالة يؤكد أن علا لن تعيش سوى فترة قليلة ولكنها كانت أقوى مما ظننت، في بداية العلاج بدأ سقوط الشعر بشكل ملحوظ وبعد فترة ظهر على علا القلق والاكتئاب.
رغد دايما كانت عند ماما علا، محبتش إنها تشوف أمها في الحالة دي كانت لسة صغيرة، علا مع بدايات المرض كانت حامل وكان تعب الحمل والمرض شاقين جدا عليها، بس أنا دايما كنت جنبها حتى في أوقات الأجازة، طبعا اتعلمت الطبخ مهو كان لازم حد يهتم بطلبات البيت، في الأول كل حاجة كانت صعبة بس علا كانت دايما بتضحك دايما سعيدة بوجودي، حتى لما

شعرها بقا خفيف جدا كانت بتقولي انت مش لوحدك اللي أصلع ونقعد نضحك.

ماتت زوجتي منذ ثلاث سنوات قضت أغلبهم في المستشفى، ولكن في تلك الفترة كبرت رغد تلك الصغيرة تمتلك القدرة على امتلاك قلبك، إنها نائمة الآن فالجو قارس البرودة، جعلتني اليوم أحضر لها جوارب قطنية جديدة حتى ترتديهم في الحضانة الأسبوع القادم، اليوم ذكرى زواجنا.

كانت علا سعيدة جدا لما الدكتور قال -مبروك يا مدام حضرتك حامل في ولد- قالتلي أنا كده مطمنه على بنتي معاها رجالة.

رغد صغيرتي تعيش في ذلك العالم، إنها تفتقد للكثير ولكني أحاول جاهدا تلبية الاحتياجات الخاصة لها، وليست الطعام والشراب، إنها تفتقد أمها كثيرا، هذا عبء كبير على من يحاولون الصمود أمام مشاعرها.

قريبا ستكمل العام الخامس وأخوها الصغير بدأ في نطق بعض الأحرف الأولى، إنها من جعلته ينطق كلمة -ماما- أولا، علمته المشي لمسافات قصيرة، عندما يمرض لا تتركه ولا تتركني أرحل من دون عناق بل وتحتضن أخاها الصغير كل يوم قبل نومه، تغرقه في حضنها كثيرا.

عندما تشعر بالخوف كثيرا في ديسمبر، ترتمي في حضني وإذا سمعت الرعد أضمها لقلبي، هي الجزء الباقي منها، بعد رحيلها فضلت تنام جنبي، كنت أفرح جدا وأنا شايفها بتضحك، زرت أمي وطلبت منها تعلمني طريقة الضفائر بجميع أشكالها، واستطعت كل يوم أصنع واحدة لصغيرتي. في حفلة عيد ميلاد إحدى صديقتها، أدركت رغد أنها ملاحقة من قبل بعض الأشخاص فور رؤيتهم استطعت الاختباء منهم أسفل الكراسي وخلف الأبواب، وجوههم كانت مخيفة تشبه كثيرا إحدى القبائل التي تعيش في

جنوب أفرييقيا، عندما رأيتها ترتعش من الخوف احتضنتها وقبلت جبينها، حملتها على ذراعي واتجهت بها للشرفة، كان أحد أصدقائي بانتظارنا، أخذ فرشاة وقام بتلوين وجهها قليلا، فور انتهائه كانت تشبه زعيم القبيلة كثيرا، تقمصت شخصيته ولاحقت الحاضرين بصراخ أفزعني حقا.

في رحلتنا الأخيرة للقاهرة، انتظرتها حتى غرقت في النوم وأسندت رأسها على كتفي، أخذت أنظر لها كم هي جميلة تلك النائمة، إنها تمتلك الكثير من أمها حقا، اكتفيت بأن أتفنن في تجميلها قليلا، إنها لا تحتاج شيئا سوي ضفيرة صغيرة، أثرت تلك الخصلة فوق الأخرى يمينا ويسارًا حتى انتهت وأصبحت محاطة بشريط أحمر صغير، عندها استيقظت صغيرتي من النوم فابتسمت لها.

**********